

تعليقات د. توماس كابلان

رامبرانت، وفيرمير، والعصر الذهبي الهولندي
روائع من مجموعة لايدن ومتحف اللوفر

- حفل الافتتاح -

اللوفر أبوظبي

أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة

13 فبراير 2019

تنويع للتسامح

أصحاب السمو،
أصحاب السعادة،
الأصدقاء الأعزاء،
السيدات والسادة،

ليس بأمرٍ مدهش بالنسبة لأولئك الذين يعرفونني ويعرفون زوجتي دافني أن يُمثّل المعرض الذي تم تدشينه هذا المساء بالنسبة لنا أحد أعظم "مشاريع الشغف". ولكي أكون شديد الوضوح، فإنّ عائلتي تعتبر متحف اللوفر أبوظبي من أهم المبادرات الثقافية في جيلنا. يُعد هذا المتحف، مع ما يحتويه من آثارٍ مسيحية ومخطوطاتٍ عبرية مزخرفة إلى جانب معروضات الفن الإسلامي، تجربة شجاعة بشكل متفرد وشديدة الأهمية، إذ أنّها تُسلط الضوء على الروابط المشتركة للثقافة العالمية - وإن كان ذلك على مسافة غير بعيدة من الدمار القائم في مدينة الموصل.

ومن منطلق إصرار دولة الإمارات العربية المتحدة على مشاركة الغرب ليس فقط في المصالح المشتركة ولكن أيضًا القيم المشتركة، فإننا نُقدّر، في أعقاب السقوط المأساوي لمدينة تدمر، التباين الطافر ورفع الستار عن اللوفر أبوظبي. إنّ هذا التكريم الرائع للإنسانية والتسامح والممثل في هذا الصرح الفني الرائع الذي صمّمه جان نوفيل، يُشكّل أندر ازدهار لكل من المثالية المحققة والقيادة الملهمة. يحتاج العالم إلى المزيد من هذه المبادرات. وكما أوضح صديقي يوسف العتيبة، سفير دولة الإمارات العربية المتحدة في الولايات المتحدة، في سياق زيارة البابا فرانسيس إلى الإمارات الأسبوع الماضي: "لا يوجد صراع بين الحضارات أو الأفكار - بل هي موجة من الجهل ونقص الشجاعة والقيادة الأخلاقية." استجابةً لهذه الدعوة، دعوني أقول: هل يمكن أن يكون هناك رد مصاد للتطهير الثقافي في حلب أو تمبكتو أكثر ملائمةً من مشهد باريس وأبو ظبي وهما يتكاتفان الليلة مع الأمريكيين لاستخدام القوة الناعمة للفن الهولندي لهزيمة الظلمة والنزعة العصبية - ليس من خلال صراع الحضارات بل من خلال تحالف الحضارات؟

بالنيابة عن أسرتي، فإنّ التزامنا بتحالف الحضارات شديد الصلابة. ولا شك أنّ أوضح تعبير على ذلك هو التزامنا بدعم الشراكة التي تُمثّل حجر الزاوية بين فرنسا - وطننا الثاني - والإمارات العربية المتحدة. وبينما تحتل أبوظبي مكانةً فريدةً في قلبي لأسبابٍ عديدة، يكمن في جوهر هذه المحبة ارتباط عميق وإيمان راسخ بالحكمة البالغة لقيادة البلاد. يختلج صدري بإعجاب ومحبة قوية لصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي العهد. لقد حظي دائمًا بمكانةً سامية تُضاهي أصحاب الرؤى مثل لي كوان يو في سنغافورة وبالطبع والد الشيخ محمد، المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مؤسس هذه الأمة الرائعة.

منذ اللحظة التي تعارفنا فيها بواسطة صديقي العزيز وأخي، معالي خلدون خليفة المبارك، أصبحت الصداقة التي تكونت مع الشيخ محمد أحد أعظم متع الحياة بالنسبة لي. في الواقع جميع علاقتي في الإمارات تُميّزها روح الصداقة الحميمة وبالتالي فهي تُعد الأقوى والأكثر شمولية التي حظيتُ بها حتى الآن مع أي شركاء. وقد وجدت، من خلال مجموعة متنوعة من الأنشطة، أنّ الروابط التي نتشاركها تُعد من أكثر الروابط صدقًا على مدار حياتي الشخصية والمهنية، حتى أنّي أصبحتُ معروفًا في بعض الدوائر باسم "الإماراتي". وتلك شارة شرف أرتيديها بفخرٍ هائل... فخر خالص بالدولة يُعد امتيازًا نادرًا في عالم اليوم.

وفي ضوء هذه الصلات الفرنسية-الإماراتية الثابتة، لم يكن من قبيل الصدفة أن يكون أول ظهور لمجموعة لايدن في متحف اللوفر في باريس. وليس من قبيل الصدفة أن تكون "بانثيرا"، وهي مبادرة الحفاظ على الحياة البرية التي تعتبر أبوظبي شريكنا الاستراتيجي الأساسي فيها، قد حظيت بدعم العديد من المنظمات والتحالفات الفرنسية. وليس أيضًا من قبيل المصادفة أنّنا نشارك بنشاط مع ALIPH، المؤسسة الفرنسية الإماراتية لحماية التراث الثقافي من ويلات الصراع - وهي المؤسسة التي يُسعدني أن أشغل منصب رئيسها، والتي سيُشرفنا أعضاء مجلس إدارتها المتميزين بحضورهم هذا المساء.

يُمثّل معرض "رامبرانت، وفيرمير، والعصر الذهبي الهولندي" استمرارًا لهذه الديناميكية. ويعكس أيضًا بشكل جيد روح العمل الخيري المتأصلة في أسرتي، وهو منهج عبّر عنه تولستوي بشكل جميل بقوله: "يمكن للسعادة أن تكون حقيقية إذا اعتبر الناس أنّ حياتهم خدمة يقدمونها للآخرين، ويكون لديهم هدف محدد في الحياة بعيدًا عن أنفسهم وسعادتهم الشخصية." هذا "الهدف الحياتي" بالنسبة لنا هو الحفاظ على الإرث الثمين للجنس البشري - أي الثروات البيئية والثقافية. وهو يتعلق بحماية القيم العالمية

- وقبل كل شيء التسامح والاحترام المتبادل - مما يجعل ترويجنا الشغوف لهذه الخطة ممكن حتى عن بُعد. ورغم أن السخرية تلقى رواجًا كبيرًا، إلا أنها ببساطة لا تناسبنا. في الحقيقة نحن نرفضها تمامًا. والحقيقة أن اهتمامنا بالعصر الذهبي الهولندي - عصر فورة الإبداع والازدهار الرائع - يعود للتقييم الأساسية والطموحات القائمة على المبادئ التي ميّزت هولندا في القرن السابع عشر، وكذلك تقديرنا للقدرات السامية والعبقرية الفنية للمبدعين من أمثال فيرمير.

ولا ننسى رامبرانت. يُعد بعض الفنانين ببساطة استثنائيين للغاية إذ أنهم لم يُغيروا فقط في البيئة المحيطة بهم، ولكنهم غيروا بتفوقهم وسُمّوهم العالم ككل. وهكذا، مثلما شكسبير هو شكسبير، وباخ هو باخ، لذا رامبرانت هو رامبرانت. في ظل الكلمات الشهيرة لأندريه مالرو، الذي رأى الفنان الأستاذ القادم من ليدن هو "أول من لمس الروح برسوماته"، يمكن للمرء أن يفهم بسهولة لماذا كان رامبرانت سابقًا لزمانه ولماذا، بعد مرور 350 عامًا على وفاته، يستمر تراث هذا الأستاذ حيًا على نحو ملحوظ للغاية. إذا تصوّر المرء نقل الحمض النووي الفني لهذا الفنان الأستاذ من القرن السابع عشر إلى أولئك الذين ألهمهم - بدءًا من لايبغويا، ودبلاكروا، وفان جوخ، وتيرنر، وبيكاسو، ورودان، وويكون ووصولًا إلى الأساتذة الصينيين المعاصرين المشاهير مثل تشنغ فانجي وليو دان - يمكن فهم أن العلامات الوراثية لـ"رامبرانت" تستقر في كل ما نعتبره اليوم فنًا... في كل مكان.

إنّه هولندي. إنّه صيني. إنّه روسي. إنّه عربي. عندما أعلن الرئيس ماكرون هنا في افتتاح متحف اللوفر أبوظبي في نوفمبر 2017، مقتبسًا عن دوستوفسكي، أنه ربما "سينقذ الجمال العالم، كان يمكنه أن يذكر أيضًا حينذاك أن "رامبرانت سينقذ العالم". ولأنّ الجمال هو الحقيقة، لذا فهي حقيقة مؤكدة تلك التي تجعل من رامبرانت فنًا مؤثرًا للغاية، وملهمًا للغاية للفنان وللشخص العادي على حد سواء. وبالرغم أن روعة الفنان الذي يلامس الروح قد لا تستطيع وحدها إنقاذ العالم لكن من الممكن للفن العظيم بشكل عام، ولهذا العبقري العالمي على وجه الخصوص رامبرانت، لعب دورًا حاسمًا فيما يُسميه اليهود *Tikkun Olam* - أو "إصلاح العالم".

وبالطبع لن يتحقق أي "مشروع شغف" أو عمل قائم على الحب من تلقاء نفسه. نادرًا ما يكون "الفعل" عملية فردية. نود أنا ودافني أولاً الإشادة بالسخاء الرائع لشركائنا في متحف اللوفر أبوظبي - ولا سيما معالي محمد خليفة المبارك، رئيس دائرة الثقافة والسياحة، والذي كانت رؤيته مصدر إلهام لهذا المعرض، ووكيله الرائع سعادة سيف سعيد غباش. ونود أيضًا أن نشكر فريقهم بقيادة مدير المتحف مانويل راباتي. ونود تقديم خالص تقدير اللوفر وزملائه في المتحف الفرنسي لفنستنت بوماريد وفريقه، والمنسق المشارك للمعرض، بليز دوكوس، وكذلك امتناننا الشديد للعمل الرائع الذي قامت به وكالة متاحف فرنسا، وخاصةً أليس ريفولي، وفيرونيك ديسليرك، وأورور تيسراند.

وبالطبع فإننا نقدم أعظم إشادة صادرة من القلب لفريقنا الذي قام بالتجميع بقيادة لارا بيغر كراست، المنسقة المتألقة المشاركة للمعرض، ومجموعة النجوم الخاصة بها: سارا سميت، وكاتي سبوريل، وأليكسا مكارثي، وإرين فاريل - وقد اشتركوا جميعًا في هذه الرحلة إلى الجزيرة العربية تملؤهم روحًا استثنائية من البهجة والاحتراف المهني، وقد جاءوا مباشرة بعد جولة محمومة ولكن منتصرة عبر باريس، وبكين، وشانغهاي، وموسكو، ومتحف الهيرميتاج، حيث استضاف المعرض أكثر من مليون زائر. كما نود الإشادة أيضًا بفريق أليسون بوخبايندر المذهل وفريق بولسكين، وكذلك زملائنا الأعزاء في نيويورك - مع التقدير الخاص لكل من السفير مارك والاس، وأنطوان أرتيجاناف، وأندي شابيرو، وإيمي زولر، وعلي عرفان، وفيليبسيتي تورت - الذين يُمثّل تفانيهم، وحماسهم، ورقيتهم العالم بالنسبة لنا. في خضم كل هذا، نحن وجميع المتعاونين من جميع أنحاء العالم كُنّا نستمد طاقاتنا من القلب النابض لهذه الحملة - وهو الإنسان الرائع جوني فان هيفتن، وهو يُعد صديق حقيقي فريد من نوعه.

نود أيضًا أن نُشيد بالمساهمات المحورية التي قدّمها كل من الأفراد التالي ذكر أسمائهم لهذا المعرض: جان فرانسوا شارنييه، الذي لا يُنسى أبدًا تمتّعه بانفتاح الروح وعبقرية العقل؛ وإينا جيسكار ديستان، وهي تُعد تذكرتي الذهبية، والروح الحقيقية لاتصالنا بمتحف اللوفر؛ وكذلك كياسة الرئيس التنفيذي جان لوك مارتينيز، والذي لولا قيمه الراسخة ورقيته لما كان هذا العرض ممكنًا.

وأخيرًا، انطلاقًا من روح المعلم الفرنسي جان ماسيو، الذي اشتهر بقوله "الامتنان ذكرة القلب"، اسمحو لي أن أُعبر مرة أخرى عن امتناني العميق لسمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان وشعب دولة الإمارات العربية المتحدة للصدقة الرائعة، والضيافة، والمحبة التي أظهرها لعائلتي المباشرة والممتدة، وللرؤية المشتركة التي مكنتنا اليوم جميعًا من تحقيق هذه المهمة النبيلة.

[النهاية]